



الناجحون دوما لا تخمد جذوة نشاطهم ، ولا تخمل حركات جوارحهم ، سعيًا خلف تحقيق أحلامهم المشروعة .
ينبتون في قلوبهم نبت الدافعية الإيجابية ، فيستغنون عن كلمات التشجيع ، وعبارات التحفيز ، ومحاضرات الحث على العمل .

لا يفتقدون الآخرين في إنجاح أعمالهم ، فإن طاقتهم معهم أينما كانوا ، وهم مستغنون بربهم عن أيدي الخلق ..
إن فارقا كبيرا يبين بين الكسول العاجز ، والنشيط المقدم ، فارق قد يلون حياة كل منهم بلون مضاد للآخر .

النبي صلى الله عليه وسلم كان كثيرا ما يستعيز بالله من الهموم المقعدة ومن العجز المعيق " اللهم أعوذ بك من الهم والحزن
ومن العجز والكسل " البخاري ..

إن ثم طاقة تشحذ همة المرء ، وتعلي طموحه ، وتدفعه إلى العطاء واستثمار الدقائق والساعات ، طاقة داخلية ، ودافعية ذاتية
غير مرئية ، تفرق بين الناس ، فكسول حامل ، ونشيط مسابق ..

هذا ما أسميه الحيوية النفسية ، تلك التي تقضي على السلبية ، وتمنع البخل بالعطاء ، وتنادي الروح دوما إلى المعالي .
إنها تستطيع أن تكسر القيود ، وتبتكر من كل موقف مبادرة جديدة ، وتستخرج من كل فرصة نافذة فوز ، وسبيل ارتقاء .

إن المرء قد تمر به ساعات يتعجب ممن تستهويهم الراحة ، ويتلذذون بالدعة والكسل ، ويحرصون على ملء بطونهم أضعاف ما يحرصون على غذاء أرواحهم وتزكية نفوسهم وتعليم عقولهم ، ويزيد المرء عجباً أن يرى هذا النوع من الشخصيات موجود بين صفوف المربين لأجيالنا والمعلمين لأمتنا !..

إن مرضاً خبيثاً قد تسلسل إلينا ، لا نستطيع أن نتداوى منه ولا نستطيع أن نفضه عنا ، إنه مرض الدعة والكسل ومرض التخمّة والترفة ، ومرض الخمول والبطء والكمون ، وهو مرض فتاك ، مهلك للطموح ، محبط للعزائم .

ففاقد الحيوية أشبه بالأشل ، لأنها تلقي بظلالها على حياته كلها ، فتراه يكسل عن العبادة والدعاء وربما الذكر أيضاً ، كما يخل عن السعي وراء خدمة المحتاج والبذل للمعوزين ، ويتكاسل أمام الفرص اللامعة في طريقة ، فتفوته الفرصة تلو الفرصة في مصلحة نفسه وأمته ..

والحق أن منبع تولد تلك الحيوية النفسية هو اقتناع عقلي وتشرب نفسي مع بعض الطبائع السلوكية الأصلية ، تجعله لا يكتفي بفعل المطلوب منه بل يتجاوز ذلك إلى المبادرة في المزيد منه أو البحث عنه ، ويزيد على مجرد الأداء الإتقان فيه ، بل يضيف إلى العمل المتقن روحاً وحيوية تعطي للعمل تأثيره وفعاليته ، دون أن يخالطه جفاف أو جفاء أو تبرم أو استئثار .

وتلك الحيوية التي أتحدث عنها وأدعو القارئ لبحث عنها ويتقلد بها هي سمة مهمة من سمات المؤمنين الإيجابيين المؤثرين ، فهم رجال فكرة وأصحاب رسالة وأمانة ، والله سبحانه قد خاطب نبيه بذلك في بدايات خطابه له فقال سبحانه " ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر " أي : شمّر عن ساعد العزم وأنذر الناس و قم قيام عزم وتصميم و قم فاشتغل بالإنذار وإن آذاك الفجار. كما قال المفسرون ..

إن صاحب الحيوية النفسية لا ينضوي وينخذل تحت وطأة الظروف والأحوال المحيطة به ، ولكنه دوماً يبحث في جوف الضيق عن سعة وفي داخل الإنقباض عن انبساط ، ويبحث في الظلام عن ضوء ولو كان ضوء خافتاً يبتدىء به الطريق .. والإسلام يربي أبنائه على تحمل المسؤولية ، سواء كانت ذاتية عن نفسه وأفعاله ومآله أو كانت مسئولية عامة عمن حوله ، فهو لا يرضى بالاتكال ولا الانطواء ولا الأنانية وحب الذات .

يقول في مدارج السالكين : " ومن ترك العمل أو قصر فيه فإنه إلى الوراء يتراجع فالعبد سائر لا واقف ، فإما إلى فوق ، وإما إلى أسفل ، إما إلى أمام ، وإما إلى وراء ، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة وقوف البتة ، ما هو إلا مراحل تطوى أسرع طئ إلى الجنة أو إلى النار ، فمسرع ومبطئ ومتقدم ومتأخر " وقال صلى الله عليه وسلم : (من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه) رواه مسلم .

